الإشراب الصوتيّ مفهومه ومظاهره

المدرس الدكتور
محمد شاكر ناصر
معهد الفنون الجميلة للبنين / الديوانية

ا

الإشراب الصوتيّ مفهومه ومظاهره

The voice mixing is understandable and its manifestations

المدرس الدكتور
محمد شاكر ناصر
معهد الفنون الجميلة للبنين / الديوانية
Dr. Mohammed Shaker Nasser
Institute of Fine Arts for Boys / AL-Diwanyiah
moharabic3@gmail.com

الملخص:

تناول البحث مصطلحًا صوتيًّا استعمله النحويون وهم يُصنّفون أصوات اللغة العربية، وهو مصطلح (الإشراب)، وقد عُني البحث بتحديد مفهوم هذا المصطلح، وحدود استعماله، وبيان مظاهره، وقد تبيَّن من خلال الدراسة أنَّ الإشراب يعني: مخالطة الصوت لصُويت أو نفخة، أو لصوت آخر وإنتاج صوت ثالث يُشاكل الصوتين الأولين. وفي ضوء تتبع استعمال المصطلح في المدونة النحوية تبيَّن أنّ مصطلح الإشراب مرّ بمرحلتين مثَّل سيبويه (ت ١٨٠هـ) المؤسس لاستعمال المصطلح المرحلةَ الأولى، وكان عنده للدلالة على الأصوات التي خالطها صُويت، أوما يشبه النفخ، والأصوات التي لم يُخالطها لا صويت ولا نفخ ، والأصوات التي خالطها غُنَّة. في حين مثَّل النحويون الآخرون المرحلة الثانية. وهم في استعماله لم يزيدوا على استعمال سيبويه للمصطلح سوى التوسع بذكر بعض مظاهره. التي يمكن إيجازها بثلاثة مظاهر، وهي: الإشراب الصويتي، والإشراب النفخي، والإشراب التقريبي، فضلًا عن اختلافهم في تحديد الأصوات المشربة.

الكلمات المفتاحية : الإشراب، الصوتي، مفهومه، مظاهره .

المقدّمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله ، والصلاة والسلام على رسول الله وآله ، وصحبه ومن والاه، وبعد:

فقد لقيت الأصوات العربية عناية كبيرة من العلماء قديمًا وحديثًا ، إذ عنوا ببيان مخارجها وصفاتها، وما يطرأ عليها من تغيرات في ظواهرها التعاملية،والاختلاف في نطقها في

اللهجات العربية. وهم في سبيل تحقيق هذه الغاية قد استعملوا اصطلاحات عدّة في وصف هذه الأصوات وتصنيفها، ومن هذه الاصطلاحات مصطلح (الأصوات المشربة)، وهو المصطلح الذي اخترته ليكون ميدانًا لهذا البحث الذي حاولت فيه الكشف عن دلالة مصطلح (الإشراب) في التداول النحوي، وتحديد مفهومه، ومظاهره، وحدود استعماله، وفي سبيل تحقيق هذه الغاية فقد قسَّمتُ البحث على مبحثين، عُني المبحث الأول بالكشف عن المفهوم؛ فكان تحت عنوان (مقاربة المفهوم) وبحثتُ فيه الإشراب في اللغة والاصطلاح، والإشراب في التداول النحوي متتبعًا المصطلح بدءًا من سيبويه وصولًا لابن الجزري (ت ٨٣٣هـ)، وقد مررت أثناء التتبع بآراء الباحثين المحدثين. وعُني المبحث الثاني ببيان مظاهر الإشراب الصوتي، وهي ثلاثة مظاهر:الإشراب الصُويتي، والإشراب النفخي، والإشراب التقريبي. وختمت البحث بخاتمة بينت فيها أهم ما توصلتُ إليه من نتائج، وأتبعتها بثبتٍ للمصادر والمراجع. والحمد لله في الأول والآخر.

المبحث الأول: مقاربة المفهوم:

١- بيانات المعجم:

تُفصح المعجمات العربية للفظ (الإشراب)عن معنيين، الأول: المخالطة؛ بشقيها المعنوي،مثل قولهم: ((أُشْرِبَ فُلَانٌ حُبَّ فُلَانٍ، إِذَا خَالَطَ قَلْبَهُ. قال اللَّهُ جَلَّ ثَنَاؤُهُ [١]:﴿**وَأُشْرِبُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْعِجْلَ**﴾))[٢].

والمادي متمثلًا في قولهم: ((الإشراب: لونٌ قد أُشْرِبَ من لونٍ آخَر. يقال أُشْرِبَ الأبيضُ حُمرةً، أي عَلاهُ ذلك. وفيه شُرْبَةٌ من حُمْرَةٍ، أي إشْرابٌ))[٣]. والآخر: الإشباع ؛ إذ يُقال:((أَشْرَبَ اللَّوْنَ أَشْبَعَهُ وكلُّ لونٍ خالطَ لَوْنًا آخَرَ فقد أُشْرِبَهُ)) [٤]. و ((والصِّبْغُ يَتَشَرَّبُ فِي الثوبِ،والثوبُ يَتَشَرَّبُه أَي يَتَنَشَّفُه))[٥].

ويمكن الجمع بين المعنيين؛ فالإشراب هو المخالطة التي تصل إلى حد الإشباع، وليست المخالطة السطحية، فالمعنى الثاني موضح ومكمل للمعنى الأول.

٢- الإشراب مصطلحًا:

الذي يتتبع مصطلح الإشراب في التداول النحوي يجد أنَّ المتقدمين لم يضعوا حدًّا له، وكان استعمالهم له – كما سيأتي – امتدادًا عن المعنى اللغوي للفظ. في حين تعددت الحدود التي وضعها المحدثون للمصطلح ، وهي ؛ فيما يبدو لي ؛ حدود ليست جامعة؛ بل جاء كل منها ليُعبِّر عن مظهر واحد من مظاهر استعمال المصطلح المتعدد المظاهر، فقد عرَّفه الدكتور عبد الصبور شاهين بأنَّه: ((التباس الصوت بالضغط،أو الصُويت، أو النفخ)) [٦]. وعرَّفه الدكتور عبد العزيز الصيغ بقوله: ((أن يختلط صوت بصوت آخر فينجم صوت مزيج من صوتين))[٧]. وتابعه على هذا التعريف الدكتور عادل نذير [٨]، وخصَّ الإشراب عند سيبويه

بقوله: ((هو الأثر السمعي المرافق للأصوات التي تضغط في مواضعها عند الوقف)) [٩].
وعرَّفه الدكتور مكي درار بتعريف مشابه لتعريف الدكتور الصيغ؛ فقال عنه :((تمازج صوتين وتنازعهما في الموضع الواحد))[١٠]. في حين ذهب الدكتور عبد البديع النيرباني مذهبًا آخر في تعريف الإشراب في ضوء تمظهر واحد من تمظهراته ، إذ قال:((خروج صُويت من الفم عند الوقف على الحرف))[١١].

٣- مصطلح الإشراب في التداول النحوي:

أ- مصطلح الإشراب عند سيبويه:

نجد لهذا المصطلح حضورًا لافتًا في كتاب سيبويه، غير أنَّ هذا الحضور بحاجة إلى قراءة متأنية تكشف عن مفهومه وحدود استعماله، وبخاصَّة إذا علمنا بتعدد رؤى الباحثين لحقيقة (الإشراب) عند سيبويه، وسيأتي بيان ذلك بعد عرض الموارد التي ذكر سيبويه فيها المصطلح، وهي على النحو الآتي:

المورد الأول: ((واعلم أنَّ من الحروف حروفًا مُشرَبة ضُغِطَت من مواضعها، فإذا وقفتَ خرج معها من الفم صُوَيتٌ، ونبا اللسانُ عن موضعه، وهي حروف القَلقَلة... وذلك القاف، والجيم، والطاء، والدال، والباء. والدليل على ذلك أنَّك تقول: الحِذْقْ فلا تستطيع أن تقفَ إلَّا مع الصُّويت، لشدة ضَغط الحرف. وبعضُ العرب أشدُّ صوتًا، كأنَّهم الذين يرومون الحركة))[١٢].

المورد الثاني: ((ومن المُشربة حروفٌ إذا وقفتَ عندها خرج معها نحوُ النَّفخة ولم تُضغط ضغط الأولى، وهي الزاي، والظاء، والذال، والضاد؛ لأنَّ هذه الحروف إذا خرجت بصوت الصدر انْسَلَّ آخره وقد فَتَرَ من بين الثنايا لأنَّه يجد منفذًا، فتسمع نحو النَّفخة. وبعضُ العرب أشدُّ صوتًا، وهم كأنَّهم الذين يرومون الحركة. والضادُ تجدُ المَنفَذ من بين الأضراس ... وذلك قولك: هذا نَشُزْ، وهذا خَفُضْ))[١٣].

المورد الثالث: ((وأمَّا الحروف المهموسة فكلُّها تقف عندها مع نَفْخٍ، لأنَّهنَّ يَخرجن مع التَّنفُّس لا صوت الصدر؛ وإنَّما تَسَلُّ معه ... ومنها حروفٌ مُشْرَبة لا تسمع بعدها في الوقف شيئًا مما ذكرنا؛ لأنَّها لم تُضغَط ضَغطَ القاف ولا تَجدُ مَنْفَذًا كما وُجِدَ في الحروف الأربعة. وذلك اللام والنون... وكذلك الميم ... وكذلك العين والغين والهمزة، لأنَّك لو أردت النَّفخ من مواضعها لم يكن كما لا يكون من مواضع اللام والميم وما ذكرت لك من نحوهما. ولو وضعتَ لسانك في مواضع الأربعة لاستطعت النفخ فكان آخرُ الصّوتِ حين يَفتُرُ نَفْخًا. والراءُ نحوُ الضاد))[١٤].

المورد الرابع:((وتكون النون مع سائر حروف الفم حرفًا خَفِيًّا مُخرَجُه من الخياشيم؛ وذلك أنَّها من حروف الفم، وأصل الإدغام لحروف الفم... وهي مع الراء واللام والياء والواو إذا أدغمتَ بِغُنَّة فليس مُخرَجُها من الخياشيم، ولكن صوتُ الفم أُشرِبَ غُنَّة. ولو كان مُخرجُها من الخياشيم

لَمَا جاز أن تُدغمها في الواو والياء والراء واللام، حتَّى تصير مثلَهُنَّ في كُلِّ شيء))[١٥].

يُلحظ أنَّ النّصوص السابقة جاءت مندرجة تحت موضوعين، الأول باب الوقف، وتُمثّله النصوص الثلاثة الأولى، والآخر باب الإدغام، ويُمثّله النصُّ الرابع، وهو النصُّ الذي أغفله المحدثون وهم ينظرون في موارد الإشراب عند سيبويه[١٦]، بل ذكر الدكتور عادل نذير بأنَّ الإشراب عند سيبويه لم يرد إلَّا في باب الوقف، وكان الحديث عنه ضمنيًّا [١٧]. ولعلَّ إغفالهم المورد الرابع قادهم إلى فهم منقوص لمصطلح الإشراب عند سيبويه وإلى أثره فيمن جاء بعده من النحويين، لذلك سأبدأ من النص الرابع لعلَّه يُضيء مفهوم الإشراب عند سيبويه؛ وقبل الولوج في النصِّ لا بدَّ من معرفة المقصود بالغُنَّة ؛ فهي عبارة عن:((صوت يجري في الخيشوم))[١٨]، وقد فرّق المبرّد (ت ٢٨٥هـ) بين النون الخفيفة، والغُنَّة تفريقًا واضحًا ؛ إذ قال:((النون المتحرَّكة مُشربَة غُنَّة، والغنَّة من الخياشيم. والنون الخفيفة خالصة من الخياشيم. وإنَّما سُمّيتا باسم واحد؛ لاشتباه الصوتين. وإلَّا فإنَّهما ليسا من مخرج))[١٩]. وهذا الأمر نجده أيضًا في نص سيبويه السابق؛ ففي النص تفريق واضح بين النون والغُنَّة، فالصوت المصاحب لحروف الفم في الإدغام ليس صوت النون، بل هو صوت الفم لكنّه جاء مخالطًا لغُنَّة يسمعها السامع أو بحسب تعبير سيبويه مشرب غنة . وبهذا فإنَّ سيبويه عندما يستعمل لفظ الإشراب يريد به المخالطة.

أمَّا النصوص الثلاثة الأولى فيُلحظ فيها أنَّ سيبويه استند إلى عاملين في عدِّه أصوات المجموعتين الأولى، والثانية أصواتًا مشربة، هما الضغط على تفاوت في الكمية بين أصوات المجموعتين، وما يخالطهما من صويت، أو نفخ عند الوقف عليها. لكن يُلحظ من النص الثالث غياب هذين العاملين في التصنيف؛ فهي لا تضغط ضغط أصوات المجموعة الأولى، ولا يتبعها نفخ أو صُويت. ولعلَّ هذا يُثير تساؤلًا عن المعيار الذي استند إليه سيبويه في عدِّها من الأصوات المشربة! وقبل الإجابة عن هذا التساؤل لابُدَّ من التطرّق إلى رأي الدكتور عبد البديع النيرباني الذي رأى أنَّ مفهوم الإشراب عند سيبويه يصدق فقط على الأصوات التي أُتبعت في الوقف صويتًا أو نفخًا، وبهذا التصور يخرج أصوات المجموعة الثالثة، مقدّمًا تصوُّرًا لنصّ سيبويه يقوم على افتراض زيادة كلمة (مشربة) من قبل النساخ في قول سيبويه: ((ومنها حروفٌ مُشْرَبة لا تسمع بعدها في الوقف شيئًا مما ذكرنا؛ لأنَّها لم تُضغَط ضَغطَ القاف ولا تَجدُ مَنْفَذًا كما وُجِدَ في الحروف الأربعة)). أو افتراض إسقاط كلمة (غير) قبل كلمة (مشربة) في النص سهوًا من النساخ. وبهذا فإنَّ الدكتور النيرباني يُقدِّم بناءً جديدًا للنص يقوم على إحدى الصورتين،هما: (ومنها حروف لا تسمع بعدها

في الوقف شيئًا) أو (ومنها حروف غير مشربة لا تسمع بعدها في الوقف شيئًا).محتجًّا لهذا التصوّر بحجتين؛ الأولى تقوم على نصِّ سيبويه وما ورد فيه من تقسيم للحروف، وذلك في قوله:((واعلم أنَّ من الحروف حروفًا مشربة ضغطت عن مواضعها))[٢٠]. فرأى أنّ هذا التبعيض يلزم منه أنَّ من الحروف ما هو غير مشرب، وإذا كان التبعيض في النص المقصود منه تبعيض لأنواع الإشراب لا للحروف فهذا يعني أنَّ ورود كلمة مشربة في قول سيبويه:((ومنها حروف مشربة لا تسمع بعدها في الوقف شيئًا مما ذكرنا))[٢١]. جاء من غير فائدة؛ لأنَّها تكون حينئذٍ جميعها مشربة[٢٢]. أمَّا الحجة الأخرى للدكتور النيرباني، فتقوم على ما جاء في كتاب سر صناعة الإعراب لابن جني (ت ٣٩٢هـ) ؛ إذ جاء فيه نص يُقابل نص سيبويه السابق ذكر فيه الحروف من غير أن يذكر كلمة (مشربة) ؛ قال: ((ومن الحروف لا تسمع بعدها في الوقف شيئًا مما ذكرنا؛ لأنَّه لم يضغط ولم يجد منفذًا، وهي الهمزة، والعين، والغين، واللام، والميم، والنون))[٢٣]. وانسجامًا مع رأيه هذا فقد عرَّف الإشراب بقوله: ((خروج صُويت من الفم عند الوقف على الحرف، وهو في اللغة الخلط... فكأنَّ الحرف المشرب لمّا أُتبع بذلك الصُويت خلط به))[٢٤]. لذا عدَّ الحروف المشربة على ثلاثة أقسام هي: حروف القلقلة: (القاف، والجيم، والطاء، والدال، والباء)، وحروف النفخ: (الضاد، والراء، والزاي، والظاء، والذال)، وحروف النفث: (الهاء، والحاء، والخاء، والكاف، والشين، والتاء، والصاد، والسين، والثاء، والفاء). وأخرج أحرف (الهمزة، والعين، و الغين، واللام، و النون، والميم) من الحروف المشربة، وسمّاها الحروف البتر؛ لأنها لا يُسمع معها في الوقف شيء[٢٥].

وقد ردَّ عليه الدكتور جواد كاظم عناد ردًّا يقوم على النظرة الكلية لنصوص سيبويه؛ إذ رأى أنَّ الأشبه في نصِّ سيبويه أن يُقال إنَّ فيه تبعيضين، أحدهما في قوله: ((واعلم أنَّ من الحروف حروفًا مُشرَبة)). وفيه تبعيض للحروف بصورة عامة، بمعنى أنَّ منها المشربة وغير المشربة، ولا يعني بالإشراب هنا ذلك الصُويت أو النفخة ؛ كما فهم الدكتور النيرباني؛ والتبعيض الآخر في قوله: ((ومن المُشربة حروفٌ إذا وقفتَ عندها خرج معها نحوُ النَّفخة)). وفي قوله: ((ومنها حروفٌ مُشْرَبة لا تسمع بعدها في الوقف شيئًا مما ذكرنا)). وهذا التبعيض تبعيض للحروف المشربة أنفسها[٢٦].

وأمَّا ما احتجَّ به الدكتور النيرباني من كلام ابن جني ؛ فهو لا يقوى أن يكون دليلًا، إذ قام ما ذكره ابن جني على ما جاء في نصّ سيبويه من تقسيمات وتفاصيل بتصرف بسيط من ابن جني بحذف أو تغيير عبارات، وهو نحو من التصرف في عبارة سيبويه، فضلًا عن ذلك لم يُشر السيرافي (ت ٣٦٨هـ) في شرحه لكتاب سيبويه

إلى وقوع حذف أو إسقاط في نصِّ سيبويه المتعلَّق بالحروف المشربة التي لا يُسمع بعدها في الوقف شيء، بل نقل النص كما هو[٢٧]،وبهذا يبعد احتمال زيادة كلمة (مشربة) من النساخ، أو إسقاط كلم (غير) قبل كلمة (المشربة) في مخطوطات الكتاب الكثيرة[٢٨].

بقى أن نجيب عن التساؤل الذي أثرناه سابقًا، وهو لماذا عدَّ سيبويه الأصوات التي لا يتبعها لا نفخ، ولاصويت في الوقف من الأصوات المشربة ؟ قلنا فيما مرَّ إنَّ سيبويه قد استند إلى عاملين في تحديد الصوت المشرب من غير المشرب، هما الضغط، والنفخ، وإذا نظرنا إلى أصوات المجموعة الثالثة، وهي: (اللام، والميم، والنون، والهمزة، والعين، والغين). وهي مجموعة مختلطة من الأصوات الشديدة (اللام، والميم، والنون، والهمزة). والرخوة (الغين) والمتوسطة (العين)، وهي كلُّها في رأي سيبويه أصوات مجهورة[٢٩].

فإذا أردنا وضع تصنيف للأصوات في ضوء نظرة سيبويه، يُصبح لدينا أصوات مهموسة، وأصوات مشربة. والمشربة: التي يتبعها صُويت، والتي يتبعها نفخ، والتي لايتبعها لاصُويت، ولا نفخ، لكنَّها تُشارك القسمين السابقين من الأصوات المشربة بصفة الجهر. ولكن هل يعني هذا أنَّ الإشراب عند سيبويه مرادف للجهر المقابل للهمس كما ذهب الدكتور عبد الصبور شاهين؟ إذ قال: ((فليس ببعيد أن يطلق سيبويه مصطلح (المشرب) لتعيين صفة (الجهر) التي لاحظها أول الأمر، ثم يلتفت في نهاية الكتاب إلى أنَّ من الأليق مقابلة (المهموس) بمصطلح (المجهور)لا المشرب))[٣٠]. وقد تابعه الدكتور عبد العزيز الصيغ على هذا الرأي، أي أنَّ الإشراب عند سيبويه بمعنى الجهر، وقد مثَّل هذا الاستعمال المرحلة الأولى من استعمال المصطلح والتي اختصَّ بها سيبويه[٣١].

رأى الدكتور جواد كاظم عناد أنَّ الدكتور عبد الصبور قد اقترب من تحديد مفهوم الإشراب عند سيبويه لكنَّه بحاجة إلى تعديل يقوم على مقابلة بين الإشراب بوصفه فعلًا لا مندوحة عنه في إنتاج المجهور، ونفيه (لا إشراب) وهو الذي يحصل مع الأصوات المهموسة، والتقابل بين(إشراب، ولا إشراب) يُصنَّف من تقابل النقيضين وهذا مخالف للعلاقة بين الجهر والهمس التي يمكن نسبتها إلى تقابل الضدين، واستنتج من خلال هذا التقابل بين الاصطلاحات بُعدَ أن يكون سيبويه قد عدل في مرحلة متأخرة من تأليف كتابه من الإشراب إلى الجهر، في ضوء الوظيفة التشكيلية للجهر؛ فهو تعبير عن رفع الصوت وقوته ووضوحه، في حين الإشراب تعبير عن علة الجهر، فالعلاقة بين الاثنين علاقة سبب بنتيجة[٣٢]. ونصوص سيبويه تُنبئ عن مفهوم واسع للإشراب يصدق على الحروف التي يتبعها صويت عند الوقف عليها، وهي حروف القلقلة، وحروف يخالطها كالنفخة عند الوقف عليها، وهي حروف النفخ، وحروف لا

يتبعها في الوقف لا صويت ولا نفخ، لذلك ((لا يصح بهذا أن يكون الإشراب وصفًا فقط للحرف الذي أُتبع بذلك الصُويت فخلط به أو بتلك النفخة. بمعنى أنَّ الحرف المشرب لم يحز هذا الوصف من هيأته التي يكون عليها في الوقف، بل من شيء آخر))[٣٣]. وهو مفهوم أوسع مما ذهب إليه أحد الباحثين الذي قصر الإشراب عند سيبويه على الصُويت الذي يتبع حروف القلقلة لمنعها من التأثر بما يجاورها من الأصوات[٣٤].

في حين ذهب الدكتور مكي درار إلى القول بازدواجية المصطلح عند سيبويه في ضوء استعماله لمصطلحي أصوات القلقلة والأصوات المشربة للدلالة على الأصوات نفسها، فضلًا عن عدم وضوح مصطلح (الإشراب) عند سيبويه كما يرى [٣٥].

والذي يبدو لي أنّ الدكتور درار قد جانب الصواب؛ ففي الواقع لا يُوجد ازدواج في المصطلح عند سيبويه، فحروف القلقلة هي مصداق من مصاديق الأصوات المشربة عند سيبويه إلى جانب أصوات النفخ، والأصوات التي لم تتبع بشيء، فهذه الثلاثة تقع ضمن الأصوات المشربة، أمَّا استعمال مصطلح القلقلة فهو جاء لتوصيف كيفية نطق هذه الحروف، ولعلَّ في قول الدكتور حسام النعيمي ما يحسم المسألة ؛ إذ قال:((والتسمية التي شاعت للحروف التي وصفها بالمشربة التي تحفز وتضغط عن مواضعها في الوقف هي حروف القلقلة ويبدو أنَّ اللفظ أخذ من معنى ضغط هذه الحروف عن مواضعها فكأنَّها تقلقل عن تلك المواضع... أمَّا وصفها بالمشربة فيبدو أنَّه من كونها قد أُشربت الصوت الذي قال عنه (لا تستطيع الوقوف عليها إلا بصوت)))[٣٦].

ب – مصطلح الإشراب بعد سيبويه:

الذي يتتبع ورود مصطلح الإشراب بعد سيبويه يجده مستعملًا عند المبرّد في موضع واحد، في توصيف النون المتحركة ؛ إذ قال: ((والميم ترجع إلى الخياشيم بما فيها من الغُنَّة ؛ فلذلك تسمعها كالنون؛ لأنَّ النون المتحرَّكة مُشربَة غُنَّة، والغُنَّة من الخياشيم. والنون الخفيفة خالصة من الخياشيم. وإنَّما سُمّيتا باسم واحد؛ لاشتباه الصوتين. وإلَّا فإنَّهما ليسا من مخرج))[٣٧]. فالإشراب عنده بمعنى المخالطة؛ فالغُنَّة قد خالطت النون، إذ لا تنفصل عن الصوت. في حين عند تطرّقه إلى حروف القلقلة التي وصفها سيبويه بالمشربة، فإنَّه سماها حروف القلقلة ولم يستعمل مصطلح الإشراب، ولعل سائل يسأل لماذا لم يصفها المبرد بالمشربة واكتفى بوصفها بالقلقلة ؟ والجواب ؛ فيما أرى؛ يكمن في الاختلاف بين سيبويه والمبرّد في تحديد نطق الصوت المصاحب لهذه الأصوات؛ ففي حين رأى سيبويه أنَّ الصُويت يخرج مع هذه الحروف إذا وُقف عليها، فهي مخالطة له، قال: ((واعلم أنَّ من الحروف حروفًا مُشرَبة ضُغِطَت من مواضعها، فإذا وقفتَ خرج **معها** من الفم

صُوَيتٌ، ونبا اللسانُ عن موضعه، وهي حروف القَلقَلة)). فقد ذهب المبرد إلى أنَّ النبرة تكون بعد الحرف في الوقف وليس معه؛ إذ قال: ((ومنها حروف تسمع في الوقف عندها نَبْرة **بعدها**؛ وهي حروف القَلقَلَة؛ وذلك لأنَّها ضُغطت مواضعها))[٣٨]. فلذلك لم يصفها بالمشربة. وهذا يتماهى مع مفهوم الإشراب عنده الذي قلنا إنَّه بمعنى المخالطة.

وبالمفهوم نفسه استعمل ابن السراج (ت ٣١٦هـ) مفهوم الإشراب؛ فهو عنده بمعنى المخالطة، وهذا ما قاله عن إدغام النون في حروف الفم؛ إذ رأى أنَّ الصوت يُشرب غنة؛ قال: ((وهي مع الراء واللام والياء والواو إذا أدغمتَ بغُنَّةٍ ليس مخرجها من الخياشيم، ولكنَّ صوتَ الفم أُشرِب غُنَّة، ولو كان مخرجها من الخَياشيم لما جاز أن تدغمها في الواو والياء والراء واللام، حتّى تصيرَ مثلهن، في كلِّ شيء ، وهي مع حروف الحلقِ بنيةٌ، موضعُها من الفم))[٣٩].

أمَّا ابن الأنباري الكوفي (ت ٣٢٨هـ) فقد ذكر مصطلح الإشراب في موضع واحد وهو يتحدّث عن الهمز وتخفيفه ؛ إذ قال:((وكان أهل البصرة يُسمون الهمز المحقق الهمز المشبع، ويُسمون الذي يترك همزه وهو يراد ، المشرب، لأنَّه أشرب حركة الهمزة وأسقطت منه نبرة))[٤٠].

يُفصِح نصُّ ابن الأنباري عن ملحظ مهم؛ وهو أنَّ مصطلح الإشراب من المصطلحات التي يستعملها البصريون، وليس نحاة الكوفة، ولعلَّ هذا يُسوّغ عدم ذكر المصطلح عند الكسائي(ت١٨٩هـ) أو الفرَّاء(ت ٢٠٧هـ).

في حين استعمل أبو علي الفارسي(ت ٣٧٧هـ) مصطلح الإشراب ليدلَّ به على مخالطة صوت لصوت آخر وإنتاج صوتٍ ثالثٍ، وهو يتحدث عن ظاهرة المضارعة، معلِّلاً إشراب الأصوات بحدوث التناسب بين الحروف كما في إشراب الصاد صوت الزاي في لفظ (الصراط)[٤١].

أمَّا ابن جني (ت ٣٩٢هـ) فقد استعمل مصطلح الإشراب في كتابه (سر صناعة الإعراب) خلال حديثه عن أقسام الحروف، وقد تابع سيبويه في نصِّه السابق الذي نقله بتصرف بسيط ؛ إذ قال: ((واعلم أنَّ في الحروف حروفًا مُشْربة تُحفَزُ في الوقف، وتُضغط عن مواضعها، وهي حروف القلقلة، وهي: القاف، والجيم، والطاء، والدال، والباء؛ لأنَّك لا تستطيع الوقوف عليها إلَّا بصوت؛ وذلك لشدَّة الحَفز والضغط... ومن المُشرَبة حروف يخرج معها عند الوقف عليها نحو النفخ إلا أنَّها لم تُضغط ضغط الأُوَل، وهي: الزاي، والظاء، والذال، والضاد، وبعض العرب أشدُّ تصويتًا. فأمَّا حروف الهمس فإنَّ الصوت الذي يخرج معها نَفَسٌ، وليس من صوت الصدر، وإنَّما يخرج منسلًا، وليس كنفخ الزاي، والظاء، والذال، والضاد، والرَّاءُ شبيهةٌ بالضاد. ومن الحروف ما لا تسمع بعده شيئًا مما ذكرناه؛ لأنَّه لم يضغط، ولم يجد منفذًا، وهي: الهمزة، والعين، والغين، واللام، والنون،

والميم))[٤٢]. واستعمله في (الخصائص) بمعنى المخالطة أيضًا لكن التي تحدث بين الحركات وليس الحروف؛ إذ عدَّ الحركات ستًّا هي الفتحة، والضمة، والكسرة، ورأى أنَّ بين كلِّ حركتين حركة، فالتي بين الفتحة والكسرة هي الفتحة قبل الألف الممالة، والتي بين الفتحة والضمة، هي الحركة التي قبل ألف التفخيم ، والتي بين الكسرة والضمة، هي الكسرة المشمة ضمًا كما في (قيل)، ومثلها الضمة المشمة كسرًا،كضمة قاف (المنقر) فهي ضمة مشربة كسرًا، كما أنَّها في(قيل) كسرة أُشربت ضمًا، ورأى أنّ هذه الحركات المشربة كالصوت الواحد، ونفى أن يكون في كلام العرب ضمة مشربة فتحة، أو كسرة مشربة فتحة[٤٣].

وقد غاب استعمال مصطلح الإشراب عند النحويين حتى أعاد استعماله الزمخشري (ت ٥٣٨هـ) في توضيح حدِّ الإمالة إذ قال: ((وهي أن تنحو بالألف نحو الكسرة، فتميل الألف نحو الياء ليتجانس الصوت، كما أُشربت الصاد صوت الزاي لذلك))[٤٤]. وهو عنده عبارة عن مخالطة صوتين وإنتاج صوت ثالث فهي من قبيل الإشراب التقريبي. وتابعه ابن الخباز(ت٦٣٩ هـ) فاستعمل مصطلح الإشراب في توصيف الإمالة التي رأى أنَّها إشراب الفتحة، والألف شيئًا من صوت الكسرة والياء، فتصير الفتحة بين الكسرة والفتح، وكذلك الألف بينها والياء[٤٥]. واستعمله ابن يعيش (ت ٦٤٣هـ) بمعنى المخالطة أيضًا، في توصيف الأصوات التي تنتج عن المخالطة بين صوتين لينتج صوتًا ثالثا، كما في الصاد المشربة زايًا في نحو قولهم الصراط، ومصدر[٤٦].

أمَّا ابن عصفور(ت ٦٦٩هـ) ؛ فقد خالف النحويين السابقين في تحديد الأصوات المشربة؛ إذ قسَّم الحروف على ثلاثة أقسام؛ فجعل حروف القلقلة قسمًا قائمًا برأسه، والحروف المشربة قسمًا آخر قائمًا برأسه، ورأى أنَّ الأصوات المشربة هي الحروف التي يخرج معها النفح. أو التي لا يخرج معها شيء، لكنَّه لم يُبيِّن لماذا جعل هذه الحروف مشربة أو ماذا أُشربت؟ وفرَّق بين المشربة والقلقلة من جهة الضغط على الحرف ؛إذ قال: ((وتنقسم إلى مُتَقَلقِل، ومُشرَب، وما ليس فيه قلقلة ولا إشراب. فالمتقلقلة: القاف، والجيم، والطاء، والدال، والباء. وذلك أنَّها تُضغَط عن مواضعها، وتُحفَز في الوقف، فلا تستطيع الوقف عليها إلَّا بصوت... والمُشرَبَة: الزاي، والظاء، والذال، والضاد، والراء. والمُشرَب: حرفٌ يخرج معه عند الوقف عليه نحو النفخ. إلَّا أنَّه لم يُضغط ضغط المقَلقَل. ومن المُشرَب ما لا يخرج بعده شيء من ذلك نحو الهمزة، والعين، والغين، واللام، والنون، والميم))[٤٧]. وتابعه أبو حيان (ت ٧٤٥هـ) في تقسيمه الحروف على متقلقلة، ومشربة، وخصَّ المشربة بأصوات النفخ[٤٨].

ج- **علماء التجويد:**

الذي ينظر إلى علماء التجويد يلحظ استعمالهم مصطلح الإشراب للدلالة على المخالطة مع اختلافهم في تحديد مصاديق الأصوات المشربة عندهم، إذ ذهب أبو عمرو الداني (ت ٤٤٤هـ) إلى قصر الإشراب على حروف القلقلة فقط مقدِّمًا لها توصيفًا لا يختلف عن توصيف من سبقه من النحويين،إذ قال: ((ومن الحروف حروفٌ مشربةٌ ضُغطت من مواضعها، فإذا وُقِفَ عليها خرجَ معها من الفم صُويتٌ ونبا اللسانُ عن مواضعه، وهي خمسة أحرف، يجمعها قولك (جد بطق)...وتُسمى هذه الحروف حروف القَلقَلة؛ لأنَّه إذا وُقِف عليها لم يُستَطَع أن يُقف دون الصُويت))[٤٩].

في حين كانت تحققات الإشراب أوسع عند ابن أبي مريم (ت ٥٦٥هـ) الذي عدَّ الحروف المشربة، حروف القلقلة، وحروف النفخ ؛ فالمشرَب عنده ما أُشرب صويتًا،وما أُشرب نفخًا بالاستناد إلى الضغط عند مخارجها عند النطق بها، مع إدراكه للاختلاف في درجة الضغط بين أصوات النفخ وأصوات القلقلة، لكنَّه عدَّ الاتفاق بين أصوات المجموعتين في مخالطة الصوت للصُويت في حالة أصوات القلقلة ولما يُشبه النفخ في حالة أصوات النفخ مع وجود الضغط مبررًا لإطلاق صفة الإشراب عليهما[٥٠]. وتابعه أبو شامة (ت ٦٦٥هـ) في قصر الأصوات المشربة على أصوات القلقلة، وأصوات النفخ[٥١]. في حين قصر ابن الجزري مفهوم الإشراب على الحروف المخالطة، وهي النون المخفاة، والألف الممالة ، والألف المفخمة ، وصاد بين بين ، وهمزة بين بين، وصوت بين الجيم والشين[٥٢].

وبعد هذا العرض لاستعمال مصطلح الإشراب يتبين عدم دقة رأي الدكتور عبد العزيز الصيغ في تحديد التطور الذي مرَّ به استعمال هذا المصطلح، إذ قال: ((ويمكن القول: إنَّ معنى الإشراب مرَّ بمراحل، المرحلة الأولى: التي تمثَّلت لدى سيبويه واضع المصطلح، وهو بمعنى الجهر ثمَّ مرحلة تمثلت عند ابن جني ثمَّ ابن عصفور في استعمالهم له بمعنى مخالطة الصوت نبرة أو نفخ ثمَّ المرحلة الثالثة وهي التي استقر فيها المصطلح على معنى الأصوات المركبة من صوتين اثنين كما عند مكي))[٥٣].

فلا يُوجد هذا التدرج في تحديد مفهوم الإشراب عند النحويين؛ فقد مرَّ بنا أنَّ استعمال سيبويه لمصطلح الإشراب كان للدلالة على الأصوات التي خالطها صُويت، أو ما يشبه النفخ، والأصوات التي لم يُخالطها لا صُويت ولا نفخ؛ وليس مرادفًا للجهر كما يرى الدكتور الصيغ، فضلًا عن ذلك فتحديده للمرحلة الثانية غير دقيق أيضًا فقد مرَّ بنا أنَّ ابن جني استعمل الإشراب ليدلَّ به على مخالطة الأصوات لصوت، أو ما يشبه النفخ عند الوقف عليها، وبعض الحروف المشربة لا يُسمع بعدها لا نفخ ولا صُويت، وهو تابع لسيبويه بهذا التقسيم ولا يُمثِّل مرحلة منفصلة عنه في استعمال مصطلح

الإشراب، لكنَّه زاد عليه باستعمال مصطلح الإشراب بمعنى المخالطة أيضًا لكن هذه المرة بين الحركات وليس الحروف كما ورد عند سيبويه. أمَّا ابن عصفور فإنَّه وإن كان استعمل مصطلح الإشراب بمعنى المخالطة أيضًا لكنَّه خالف من سبقه من النحويين بتقسيمه الحروف إلى متقلقلة، ومشربة، إذ أخرج أصوات القلقلة من الأصوات المشربة، واقتصر على أصوات النفخ، والأصوات التي لا يخرج معها نفخ عند الوقف عليها. وكذلك قوله إنَّ مفهوم الإشراب قد استقرَّ على معنى الأصوات المركبة من صوتين عند مكي القيسي (ت ٤٣٧هـ) أمر غير دقيق تمامًا؛ فمكي القيسي لم يستعمل مصطلح الإشراب البتة؛ إنَّما استعمل مصطلح الأصوات المخالطة للتعبير عن الأصوات المركبة من صوتين[٥٤]، فضلًا عن ذلك فإنَّ معنى الإشراب لم يستقر على المعنى الذي عبَّر عنه مكي لا عند النحويين، ولا عند علماء التجويد، بل بقى متأرجحًا بين النحويين الذين عبَّروا عنه بحسب المظاهر التي تطرقوا لها.

المبحث الثاني: مظاهر الإشراب:

١- الإشراب الصويتي:

أشار إلى هذا النوع من الإشراب سيبويه في حديثه عن الوقف على حروف القلقلة في نصٍّ قد مرَّ أكثر من مرَّة، إذ أشار إلى أنَّ ثمَّة أصوات يتبعها في حال الوقف عليها صُويت ينتج عن الصفات التي تتسم بها هذه الأصوات، فهي أصوات شديدة (انفجارية) يتطلب نطقها انحباس الهواء انحباسًا تامًّا، فضلاً عن صفة الجهر التي تمنع النفس من أن يجري معها، وهو ما يُفضي إلى بذل المتكلِّم جهدًا أكبر في نطقها، ونتيجة لهذا الجهد، فإنَّه يتبعها عند الوقف صُويت كما رأى سيبويه، أوصوت، أو نبرة كما رأى بعض النحويين، حتى تكون أكثر وضوحًا في النطق [٥٥]. وقد جعله سيبويه (صويتًا)، بالنظر إلى كميته الصوتية ؛ فهو ليس مُصوّتًا كاملًا، مثل الفتحة أو الكسرة أو الضمة، بل هو أشبه ما يكون بالحركة المختلسة، جيء به بعد أحرف القلقلة ؛ بوصفه وسيلة إلى إظهار الصوت وإيفائه حقَّه في قراءة القرآن بعد أن أدرك الناطقون بأنَّ هذه الأصوات تُوشك أن تختفي في حالة الوقف حيث تتحول إلى أصوات خفية مهموسة[٥٦].

أمَّا طبيعة هذا الصويت فقد رأى الدكتور محمود السعران أنَّه صوت غير مهموس مستندًا إلى تفريق النحويين بين هذا الصوت والنفس أو النفخ. وتقرير النحويين أنَّ هذا الصُويت الإضافي ينقل الأصوات الانفجارية من السكون إلى شبه الحركة، وهذا يعني أنَّها تُصبح شبيهة بالحروف المتحركة، وفي اصطلاح النحويين العرب فإنَّ(الصوت المتحرك) يعني صوت صامت متلو بصوت صائت قصير [٥٧]. في حين رأى الدكتور عبد الصبور شاهين أنَّ هذا الصُويت ناشئ عن (نبو) اللسان عن موضع

الصوت، أو انفصاله عن المخرج ، وهو جزء من مُصوّت يشبه الصوت المركزي (ə) في الرموز الصوتية الدولية[٥٨]، وقد أدرك علماؤنا القدامى، هذا فقد أشار غير واحد منهم إلى طبيعة هذا الصوت، فقد ذكر بعض العلماء أنَّه يشبه الحركة[٥٩]، ووصفه مكي القيسي بأنَّه صوت يشبه النبرة[٦٠].

٢- الإشراب النفخي:

أشار إلى هذا النوع من الإشراب سيبويه أيضًا في قوله:((ومن المُشربة حروفٌ إذا وقفتَ عندها خرج معها نحوُ النَّفخة ولم تُضغط ضغط الأولى، وهي الزاي، والظاء، والذال، والضاد؛ لأنَّ هذه الحروف إذا خرجت بصوت الصدر انْسَلَّ آخره وقد فَتَرَ من بين الثنايا لأنَّه يجد منفذًا، فتسمع نحو النَّفخة. وبعضُ العرب أشدُّ صوتًا، وهم كأنَّهم الذين يرومون الحركة. والضادُ تجدُ المَنفَذ من بين الأضراس ... وذلك قولك: هذا نَشُزْ، وهذا خَفُضْ))[٦١].

يُنبئ نصُّ سيبويه عن ملاحظ مهمة؛ فهو أوّلًا يُفرّق بين أصوات هذه المجموعة والمجموعة التي قبلها؛ ففي الأولى مشربة صُويتًا أمَّا هذه المجموعة فهي مشربة نفخًا، فضلًا عن الضغط؛ فهي لم تضغط ضغط الأولى، وهذه الحروف تشارك المجموعة الأولى بأنَّها أصوات مجهورة، وقد أشار إلى هذا من خلال عبارة (خرجت بصوت الصدر) إلَّا أنَّها تفارقها بكونها أصوات رخوة وهذا ما أشار إليه بقوله(انسل آخره وقد فتر من بين الثنايا،لأنَّه يجد منفذًا) فيسمع بعده نحو النفخة[٦٢].

أمَّا طبيعة هذه النفخة فرأى الدكتور عبد الصبور شاهين أنَّها عبارة عن صوت تنفسي يشبه الهاء، وعلل حدوثه بصفة الرخاوة التي تتمتع بها هذه الأصوات والتي تعطي للصوت إمكانية استمرار حالة إدائه،فضلًا عن أنَّ صفة الجهر التي تتصف بها هذه الأصوات تجعل من الوقف عليها يعني توقف (صوت الصدر)، فلا يملك الناطق بها عند إيقاف الذبذبات الصوتية المتأتية من الحنجرة إلَّا أن يترك لتَنفِّسه حرية الانطلاق في أثرها بعد أن حبس نفسَه توتر الجهر خلف الأوتار الصوتية فيفضي إلى ما يُسمع بعدها من النفخ[٦٣].

٣- الإشراب التقريبي:

ويعني:((التمازج والاختلاط والمشاركة بين صوتين ؛ لإنتاج صوت ثالث))[٦٤]. والصوت الناتج عن هذا الاختلاط يكون شبيهًا بالصوتين اللذين تكوَّن من تمازجهما، قال ابن سينا (ت ٤٣٨هـ):((وهاهنا حروف... تحدث بين حرفين حرفين فيما يجانس كل واحد منهما بشركه في مسبِّبه))[٦٥]. وقد عدَّ مكي القيسي ستة أحرف منها وسماها الحروف المخالطة، وسماها ابن الجزري الحروف المشربة[٦٦]، وهي[٦٧]:

١- النون الخفيفة: مثل التنوين، ونون التوكيد، والنون التي تخفى عند حرفي الكاف والجيم،

وشبه ذلك؛ لأنَّ مخرج هذه النون غير مخرج النون المتحركة والنون الصحيحة السكون.

٢- الألف المُمالة: وهي ألف غير خالصة تكون بين الألف، والياء فلا هي ألف خالصة، ولا ياء خالصة ؛ إنَّما هي ألف قريبة من لفظ الياء.

٣- الألف المفخَّمة: وهي ألف يُخالط لفظها تفخيم يُقربها من لفظ الواو، فهي نقيض الألف الممالة.

٤- الصاد التي يُخالط لفظها لفظ الزاي: كما في لفظ (الزراط).

٥- همزة بين بين: وهي همزة مخففة بين الهمزة والألف، وبين الهمزة والواو، وبين الهمزة والياء، فلا هي همزة خالصة محققة، ولا هي حرف آخر خالص غير الهمزة.

ورأى أنَّ هذه الحروف الخمسة هي المستعملة في كلام العرب، وفي القرآن الكريم كثيرًا، وزاد عليها حرفًا سادسًا، لم يُستعمل في القرآن الكريم، وهو حرف بين الشين والجيم، وهو لغة لبعض العرب يُبدلون من كاف المؤنث شينًا يُخالط لفظها لفظ والجيم. وأول من أشار إلى هذه الحروف وصنفها – بحسب ما اطلعت عليه – سيبويه من دون أن يستعمل معها مصطلح الإشراب، بل استعمل مصطلح الحروف الفرعية، وقسَّمها على قسمين الحروف المستحسنة، وهي الخمسة الأولى مارة الذكر، وحروف غير مستحسنة [٦٨]. وقد اختلفت التسميات التي استعملها النحويون في توصيف هذه النوع من الإشراب فأطلقوا عليه: التقريب، والمضارعة، والإبدال، والشائبة، والمخالطة، والتجانس [٦٩]،لكنَّها لا تتجاوز الاختلاف في الألفاظ والاتفاق على المفهوم ، وهذا ما أشار إليه أحد الباحثين بقوله : ((عند تتبع تلك الألفاظ التي أراد العلماء منها إيضاح ما يطرأ من أثر الحروف بعضها ببعض على وفق شروط خاصة ؛ فإننا نصل إلى نتيجة مفادها أنَّ الخلاف في تلك الألفاظ لفظيّ، لا يؤثر في أصل الموضوع ، فهم على وعيٍّ حقيقي بتأثير صوت ما في آخر لعلَّة ما ، فنظروا إلى عملية التداخل، أو المزج، أو الاختلاط، أو الاشتراك، أو التأثير، فكانت لهم هذه المفهومات))[٧٠].

وقد ذهب الدكتور عادل نذير إلى عدِّ نوع آخر من الإشراب أسماه الإشراب الرئوي، أو (النفسي)، ونسب القول به إلى نصِّ سيبويه:((وأما الحروف المهموسة فكلُّها تقف عندها مع نفخ، لأنَّهنَّ يخرجن مع التنفس لا صوت الصدر، وإنَّما تنسل معه))[٧١]. مع تصريحه بأنَّ سيبويه لم يُصرِّح بأنَّ الأصوات المهموسة كلّها تتصف بالإشراب، لكنَّه رأى أنَّ السياق الذي ورد فيه النص يدلُّ على ذلك[٧٢].

والذي أراه أنَّ ما ذهب إليه الدكتور عادل نذير فيه نظر؛ فسيبويه فعلاً لم يُصرِّح، كما قال الدكتور نذير، أنَّ كلَّ الأصوات المهموسة مشربة، لكنَّه لم يُصرّح أيضًا أنَّ بعضها مشربًا . ولعلَّ الذي جعل الدكتور عادل نذير يقول بذلك

هو ورود النصّ السابق في ضمن كلام سيبويه عن الحروف المشربة، فعدَّه قسمًا منها، وهو ليس كذلك فالذي ينظر إلى نص سيبويه كاملًا يجده يعرض لتقسيم كلِّ حروف العربية بالاستناد إلى الإشراب وعدمه، فقسَّم الحروف المشربة على ثلاثة أقسام عند الوقف عندها، ،هي: ما يخرج معها من الفم صُويت، وما يخرج معها نحو النفحة، وما لا يسمع بعدها شيء، وهذا يُمثِّل أقسام الحروف المشربة. أمَّا نصّ سيبويه:((وأمَّا الحروف المهموسة فكلُّها تقف عندها مع نَفْخٍ)) وهو الذي استند إليه الدكتور نذير في عدِّ هذا الأصوات مشربة، فالذي يبدو لي أنَّه مغاير لفهم الدكتور نذير، فسيبويه أراد بذكره الحروف المهموسة هنا إشارة إلى القسم الثاني من الأصوات، وهو غير المشرب، وهذا يعني أنَّ الأصوات المهموسة قسيمًا للأصوات المشربة، وليست قسمًا منها، وهذا ما ذهب إليه الدكتور جواد كاظم عناد مستدلًا باستعمال سيبويه لـ (أمَّا) عند ذكرها وهي أداة تفيد قطع ما بعدها عمَّا قبلها، فهي من حروف الابتداء، ولا يحمل ما بعدها على ما قبلها بخلاف ثمَّ، والفاء. وبالنسبة لذكر الحروف المهموسة بعد القسم الثاني من الحروف المشربة، فذكرها أشبه ما يكون بقطع للسرد دعا إليه (نحو النفخة) التي تتميز بها أصوات القسم الثاني، وهي الصفة التي تتميز بها الأصوات المهموسة فهي كلها يوقف عليها مع نفخ يُمثِّل النفس المصاحب لنطقها[٧٣]. وإذا نظرنا في الأصوات المهموسة نجدها كلها تقف معها على نفخ – كما صرح سيبويه – فهل هذا يعني دخولها في الأصوات المشربة؛ فهي قد توفَّر فيها العامل الثاني، أي النفخ ؟ الجواب: لا ؛ فالنفخ المصاحب للأصوات المهموسة جزء من الطبيعة التكوينية لها، وليس مخالطًا لها كما في أصوات النفخ، وقد فرَّق ابن جني بينهما قديمًا، إذ قال:((ومن المُشرَبة حروف يخرج معها عند الوقف عليها نحو النفخ إلا أنَّها لم تُضغط ضغط الأُوَل، وهي: الزاي، والظاء، والذال، والضاد، وبعض العرب أشدُّ تصويتًا. فأمَّا حروف الهمس فإنَّ الصوت الذي يخرج معها نَفَسٌ، وليس من صوت الصدر، وإنَّما يخرج منسلًا، وليس كنفخ الزاي، والظاء، والذال، والضاد، والرَّاءُ شبيهةٌ بالضاد))[٧٤].

الخاتمة

توصَّل البحث إلى جملة من النتائج يمكن إيجازها بالنقاط الآتية:

١– تبين من خلال البحث أنَّ استعمال النحويين لمصطلح الإشراب كان متماهيًا مع المعنى اللغوي الدالّ على المخالطة، والإشباع، ولعلَّ اتكال النحويين على شيوع المعنى اللغوي للمصطلح جعلهم يعرضون عن وضع حدٍّ له.

٢– تبين عدم دقة الحدود التي وضعها الباحثون المحدثون لمصطلح الإشراب؛ فهي كانت تقتصر على مظهر واحد من مظاهره؛ ويُمكن وسمها

بأنَّها ليست جامعة، لذا وضعت حدًّا للمصطلح رأيتُ أنَّه الأنسب، وهو: مخالطة الصوت لصُويت أو نفخة، أو لصوت آخر وإنتاج صوت ثالث يشاكل الصوتين الأولين.

٣- في ضوء تتبع استعمال المصطلح في المدونة النحوية تبين أنّ مصطلح الإشراب مرّ بمرحلتين، مثَّل سيبويه المؤسس لاستعمال المصطلح المرحلة الأولى ، وكان عنده للدلالة على الأصوات التي خالطها صويت، أو ما يشبه النفخ، والأصوات التي لم يُخالطها صويت أو نفخ ، والأصوات التي تُخالطها غُنَّة، في حين مثَّل النحويون الآخرون المرحلة الثانية، وهم في استعماله لم يزيدوا على استعمال سيبويه سوى التوسع بذكر بعض مظاهره، وبخاصة النوع الثالث، وهو الإشراب التقريبي، فضلًا عن اختلافهم في تحديد الأصوات المشربة .

٤- تبين من خلال البحث أنَّ ثمَّة ثلاثة مظاهر للإشراب، وهي: الإشراب الصويتي، والإشراب النفخي، والإشراب التقريبي، ولا صحة لعدِّ نوع رابعٍ من الإشراب، وهو الإشراب الرئوي أو النفسي .

والحمد لله في الأول والآخر.

الهوامش:

١- البقرة : من الآية : ٩٣ .
٢ – مقاييس اللغة: ٣/ ٢٦٧- ٢٦٨، ويُنظر: الصحاح: ١/ ١٥٤ (شرب).
٣- الصحاح: ١/ ١٥٤(شرب).
٤ – المحكم: ٨/ ٥٥، ويُنظر: لسان العرب: ١/ ٤٩١ (شرب).
٥ – لسان العرب: ١/ ٤٩١ (شرب).
٦ – في التطور اللغوي: ٢١٦.
٧ – المصطلح الصوتي في الدراسات العربية:٢٤٦.
٨ – يُنظر: التعليل الصوتي عند العرب: ١٣٦.
٩- المصدر نفسه : ١٣٧.
١٠ – الحروف العربية وتبدلاتها الصوتية في كتاب سيبويه: ١٧٩.
١١ – الجوانب الصوتية في كتب الاحتجاج للقراءات: ٧٤.
١٢ – كتاب سيبويه: ٤/ ١٧٤.
١٣ – المصدر نفسه: ٤/ ١٧٤.
١٤ – المصدر نفسه: ٤/ ١٧٥.
١٥ – المصدر نفسه: ٤/ ٤٥٤.
١٦ – يُنظر: في التطور اللغوي: ٢١٥-٢١٧، والتعليل الصوتي عند العرب: ١٣٧-١٤٣، و الحروف العربية وتبدلاتها الصوتية في
كتاب سيبويه: ١٧٩.
١٧ – يُنظر: التعليل الصوتي عند العرب: ١٣٦.
١٨- المصطلح الصوتي: ١٦٥.
١٩- المقتضب: ١/ ١٩٤.
٢٠ – كتاب سيبويه: ٤/ ١٧٤.
٢١ – المصدر نفسه: ٤/ ١٧٥.
٢٢ – يُنظر: الوقف في العربية: ٥٦، والوقف في المدونة النحوية: ٨٦.
٢٣ – سر صناعة الإعراب: ١/ ٧٧.
٢٤ – الجوانب الصوتية في كتب الاحتجاج: ٧٤.
٢٥ – يُنظر:المصدر نفسه: ٧٤.
٢٦ – يُنظر: الوقف في المدونة النحوية: ٨٦.
٢٧ – يُنظر: شرح كتاب سيبويه: ٥/ ٤٧، والوقف في المدونة النحوية : ٨٦.
٢٨ – يُنظر: كتاب سيبويه: ١/ ٥٤- ٥٥ (مقدمة المحقق)، والوقف في المدونة النحوية : ٨٦.
٢٩- يُنظر: في التطور اللغوي: ٢١٥- ٢١٦.
٣٠ – المصدر نفسه: ٢١٧.
٣١ – يُنظر: المصطلح الصوتي في الدراسات العربية: ٢٤٧.
٣٢ – يُنظر: الوقف في المدونة النحوية: ٨٧ (بتصرف).
٣٣ – المصدر نفسه: ٨٥.
٣٤ – يُنظر: أصوات القلقلة: ٢١.
٣٥ – يُنظر: الحروف العربية وتبدلاتها الصوتية: ١٧٨-١٧٩.
٣٦ – الدراسات الصوتية واللهجية عند ابن جني: ٢٢٢.
٣٧ – المقتضب: ١/ ١٩٤.
٣٨ – المصدر نفسه: ١/ ١٩٤.
٣٩ – الأصول في النحو: ٣/ ٤١٧ -٤١٨.
٤٠- ايضاح الوقف والابتداء: ١/ ٤٠٠.
٤١- يُنظر: الحجة للقراء السبعة: ١/ ٥٥.
٤٢- سر صناعة الإعراب: ١/ ٧٧.
٤٣ – يُنظر: الخصائص:٣/ ١٢٢.
٤٤ – المفصل في صنعة الإعراب: ٤٧١
٤٥ – يُنظر: توجيه اللمع: ٦٠٠.
٤٦ – يُنظر: شرح المفصل: ٥/ ٥٢٠.
٤٧- الممتع الكبير في التصريف: ٤٢٨.
٤٨ – يُنظر:ارتشاف الضرب: ١/ ١٧-١٨.
٤٩ – التحديد في الإتقان والتجويد: ١٠٩.

٥٠ – يُنظر :الموضح في وجوه القراءات وعللها: ١/ ١٧٦– ١٧٧.

٥١ – يُنظر:إبراز المعاني من حرز الأماني: ٧٥٤.

٥٢ –يُنظر: التمهيد في علم التجويد: ٩٤ – ٩٥.

٥٣ – المصطلح الصوتي في الدراسات العربية: ٢٤٧.

٥٤– يُنظر: الرعاية: ٥٢.

٥٥ – يُنظر: علم اللغة مقدمة للقارئ العربي: ١٦٠ – ١٦١.

٥٦ – يُنظر: المصدر نفسه: ١٦٠ – ١٦١.

٥٧ – يُنظر: المصدر نفسه: ١٦١– ١٦٢.

٥٨ – يُنظر: في التطور اللغوي: ٢١٤–٢١٥، وعلم اللغة مقدمة للقارئ العربي: ١٦٢.

٥٩– يُنظر: إبراز المعاني:١٣، و جهد المقل: ١٥٠، و المدخل إلى علم أصوات العربية: ١٢٠.

٦٠– يُنظر: الرعاية: ٥٢، والمدخل إلى علم أصوات العربية: ١٢٠.

٦١ – كتاب سيبويه: ٤/ ١٧٤.

٦٢ – يُنظر في التطور اللغوي: ٢١٥.

٦٣ – يُنظر: في التطور اللغوي: ٢١٥، والتعليل الصوتي عند العرب: ١٣٨– ١٣٩.

٦٤ –أصوات اللغة: ٢٥.

٦٥ – أسباب حدوث الحروف: ٨٦.

٦٦ – يُنظر:التمهيد في علم التجويد: ٩٤.

٦٧ – يُنظر: الرعاية: ٥٢– ٥٤.

٦٨– يُنظر : كتاب سيبويه : ٤/ ٤٣٢.

٦٩– يُنظر: كتاب سيبويه: ٤/ ٤٧٧ ، ٤٧٩، والأصول في النحو : ٣/ ٤٢٩، و الخصائص:٢/ ١٤٢ ، ١٤٤، وشرح المفصل : ١٠/ ١٤٧.

٧٠– أصوات اللغة : ١١.

٧١ – كتاب سيبويه: ٤/ ١٧٥.

٧٢ – يُنظر التعليل الصوتي عند العرب: ١٣٩.

٧٣ – يُنظر: الوقف في المدونة النحوية: ٨٦.

٧٤–سر صناعة الإعراب: ١/ ٧٧.

المصادر والمراجع

- القرآن الكريم.
- إبراز المعاني من حرز الأماني: لأبي شامة (ت ٦٦٥هـ)، تح: إبراهيم عطوة عوض، ط١، دار الكتب العلمية. بيروت (د. ت).
- ارتشاف الضرب من لسان العرب:لأبي حيان الأندلسي (ت ٧٤٥ هـ) تح : رجب عثمان محمد، ط١، مكتبة الخانجي، القاهرة ١٤١٨هـ – ١٩٩٨م.
- أسباب حدوث الحروف: لابن سينا (ت ٤٢٨هـ)، تح: محمد حسان الطيان، ويحيى مير علم، ط١، مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق، (د.ت).
- أصوات القلقلة المصطلح والدلالة بين القدامى والمحدثين دراسة مقارنة: فراس الطائي، ط١، مطبعة إيلاف، بغداد ٢٠١٦م.
- أصوات اللغة مخارجها وصفاتها وشوائبها بين الدرس الصوتي والأداء القرآني دراسة مقارنة: فراس الطائي، ط١، مكتبة الكوثر –بغداد، ٢٠١٦.
- الأصول في النحو: لابن السراج (ت ٣١٦هـ)، تح: د. عبد الحسين الفتلي، ط٣، مؤسسة الرسالة، بيروت لبنان ١٤١٧هـ– ١٩٩٦م.
- إيضاح الوقف والابتداء: لأبي بكر بن الأنباري (ت ٣٢٨هـ)، تح: محيي الدين عبد الرحمن رمضان، ط١، مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق ١٣٩٠هـ – ١٩٧١م.
- التحديد في الإتقان والتجويد: لأبي عمرو الداني (ت٤٤٤هـ)، تح: د. غانم قدوري حمد، ط١، مكتبة الأنبار – بغداد ١٤٠٧ هـ – ١٩٨٨م.

- التعليل الصوتي عند العرب في ضوء علم الصوت الحديث قراءة في كتاب سيبويه: د. عادل نذير بيري، ط١، مركز البحوث والدراسات الإسلامية، بغداد ٢٠٠٩م.
- التمهيد في علم التجويد: لابن الجزري (ت ٨٣٣هـ)، تح: د. علي حسين البواب، ط١، مكتبة المعارف، الرياض ١٤٠٥هـ – ١٩٨٥م.
- توجيه اللمع: لأحمد بن الحسين بن الخباز (ت ٦٣٩ هـ)، تح: د. فايز زكي محمد دياب، ط٢، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع، جمهورية مصر العربية، ١٤٢٨هـ – ٢٠٠٧م.
- الجوانب الصوتية في كتب الاحتجاج للقراءات: د. عبد البديع النيرباني، ط١، دار الغوثاني، دمشق ١٤٢٧هـ- ٢٠٠٦م.
- جهد المقل : المرعشي (ت ١١٥٠هـ)، تح : د. سالم قدوري الحمد، ط١، دار عمار ، عمان ، ٢٠٠١.
- الحجة للقراء السبعة: لأبي علي الفارسي (ت ٣٧٧هـ)، تح: بدر الدين قهوجي، وبشير جويجابي، راجعه: عبد العزيز رباح ، و أحمد يوسف الدقاق ، ط٢، دار المأمون للتراث، دمشق ١٤١٣هـ- ١٩٩٣م.
- الحروف العربية وتبدلاتها الصوتية في كتاب سيبويه (خلفيات وامتداد) : د. مكي درار ، ط١، من منشورات اتحاد الكتاب العرب ، دمشق ٢٠٠٧م.
- الخصائص: لأبي الفتح عثمان بن جني (ت ٣٩٢هـ)، تح: الشيخ محمد علي النجار، ط٤، الهيئة المصرية العامة للكتاب، (د. ت).
- الدراسات اللهجية والصوتية عند ابن جني: د.حسام سعيد النعيمي، ط١، دار الرشيد، منشورات وزارة الثقافة والإعلام – الجمهورية العراقية ١٩٨٠م.
- الرعاية لتجويد القراءة وتحقيق لفظ التلاوة:لمكي القيسي (ت ٤٣٧هـ): تح: مكتبة قرطبة للبحث العلمي، ط١، مؤسسة قرطبة (د.م)، (د.ت).
- سر صناعة الإعراب: لابن جني (ت٣٩٢هـ)، تح: د. محمد حسن محمد، وأحمد رشدي شحاتة، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان ١٤٢١هـ- ٢٠٠٠م.
- شرح المفصل للزمخشري: لابن يعيش (ت ٦٤٣هـ)، تح: د. إميل بديع يعقوب، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان ١٤٢٢هـ- ٢٠٠١م.
- شرح كتاب سيبويه: للسيرافي (ت ٣٦٨هـ)، تح: أحمد حسن مهدلي، و علي السيد علي، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان ٢٠٠٨م.
- الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية: للجوهري (ت ٣٩٣هـ)، تح: أحمد عبد الغفور عطار، ط٤، دار العلم للملايين، بيروت ١٤٠٧هـ- ١٩٨٧م.
- علم اللغة مقدمة للقارئ العربي: د. محمود السعران، (د.ط)، دار النهضة العربية، بيروت –لبنان (د.ت).
- في التطور اللغوي: د. عبد الصبور شاهين، ط٢، مؤسسة الرسالة، بيروت ١٤٠٥ – ١٩٨٥م.
- كتاب سيبويه: سيبويه(ت١٨٠هـ)، تح: د. عبد السلام محمد هارون، ط٢، مكتبة الخنجي، القاهرة – مصر١٩٨٢م.
- لسان العرب: لابن منظور (ت ٧١١هـ)، ط٣، دار صادر، بيروت ١٤١٤هـ.
- المحكم والمحيط الأعظم: لابن سيده (ت ٤٥٨هـ)، تح: عبد الحميد هنداوي: ط١، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان١٤٢١هـ- ٢٠٠٠م.
- المدخل إلى علم أصوات العربية: د. غانم قدوري الحمد، ط١، دار عمار، عمان ١٤٢٥هـ-٢٠٠٤م.
- المصطلح الصوتي في الدراسات العربية: د. عبد العزيز الصيغ، ط١، دار الفكر، دمشق ٢٠٠٧م.

- المفصل في صنعة الإعراب: للزمخشري (ت ٥٣٨هـ)، تح: د. علي بو ملحم، ط١، مكتبة الهلال، بيروت– لبنان ١٩٩٣م.
- مقاييس اللغة: لابن فارس (ت٣٩٥هـ)، تح : د. عبد السلام هارون، (د. ط)، دار الفكر، ١٣٩٩هـ– ١٩٧٩م.
- المقتضب: للمبرد (ت ٢٨٥هـ)، تح: محمد عبد الخالق عضيمة، (د.ط)، عالم الكتب، بيروت (د.ت).
- الممتع الكبير في التصريف: لابن عصفور (ت ٦٦٩هـ)، تح: د. فخر الدين قباوة، ط١، مكتبة لبنان ١٩٩٦م.
- الموضح في وجوه القراءات وعللها: لابن أبي مريم (ت ٥٦٥هـ)، تح: عمر حمدان الكبيسي، ط١، الجماعة الخيرية لتحفيظ القرآن بجدة، ١٤١٤هـ– ١٩٩٣م.
- الوقف في العربية في ضوء اللسانيات: د. عبد البديع النيرباني، ط١، دار الغوثاني للدراسات القرآنية، دمشق سوريا (د.ت).
- الوقف في المدونة النحوية تمرين على قراءة في متن قديم: د. جواد كاظم عناد، ط١، تموز ديموزي، دمشق، ٢٠١٩م.

Abstract:

The research dealt with a phonetic term used by grammarians when they classify the sounds of the Arabic language, which is the term (mixing), and the research was concerned with defining the concept of this term, the limits of its use, and clarifying the manifestations of intoxication. last and produce a third sound that is similar to the first two. In the light of tracing the use of the term in the grammatical code, it was found that the term blending went through stagesSibawayh, the founder of the use of the term, represented the first stage, and he had it to denote the sounds that were mixed with a soot, or something similar to puffing, and the sounds that were not mixed with neither soot nor puff. While other grammarians represented the second stage, and in their use they did not increase Sibawayh's use of the term except to expand by mentioning some of its manifestations. Which can be summed up in three manifestations, namely: vocal mixing, blowing mixing, and structural mixing, and it is not correct to count a fourth type of mixing, which is pulmonary or psychological mixing.

Keywords:The mixing,vocalization, its concept, its manifestations.